-٣-

ديمقراطية الخلاف والاختلاف من منظور اسلامى

المطلع على الساحة الآن يجد هذه القضية هي أساس كل شيء الآن , كلا منا يريد أن يخدم ويقدم شيء لبلده ولكن هناك خلاف دائما في وجهات النظر , و لا نستطيع تقريبها لبعضنا البعض , ولا أعلم لماذا ،هل اختلاف أعمار أو ثقافات أو بيئات ولكن لا أعتقد ذلك إني أرجع الأمر أننا لم نتربْ على الرأي والرأي الأخر اقصد الديمقراطية بمعنى أوضح وأشمل وأعم , ولذلك أخذ قلمي يكتب هذا الموضوع , الخلاف والاختلاف بمعنى واحد يشير إلى عدم الاتفاق على مسألة واحدة بمعنى أن كل واحد منا له في حاله وفعله شيء مختلف عن الأخر وقد ذُكِر الخلاف والاختلاف في آياتٍ كثيرة في كتاب الله قال تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) (مريم :٣٧) وقال أيضا (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)(البقرة : ١٣٣)

وقد ذهب الكثيرون إلى أن تسويغ الاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع ، وما دام في حدود الشريعة وضوابطها فإنه لا يكون مذمومًا بل يكون ممدوحًا ومصدرًا من مصادر الإثراء الفكري ووسيلة للوصول إلى القرار الصائب ، و مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام ما هو إلا تشريعًا لهذا الاختلاف الحميد قال تعالى للمصطفى صلى الله عليه وسلم (وشاورهم في الأمر) (آل عمران : ١٥٩) فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ويستمع إلى آرائهم وتختلف وجهات نظرهم , ومثل ذلك في تقرير المضي في غزوة بدر, ونتائج المعركة ,وكان الاختلاف في الموقف من الأسرى, فقد كان صلى الله عليه وسلم ينصت إليهم وما لام أحدًا على رأي أبداه أو موقف تبناه وما تعصب منهم أحد ولا تحزب بل كان الحق غايتهم والمصلحة رائدهم , .وقد يقر النبي

صلى الله عليه وسلم كلاً من المختلفين على رأيه الخاص ، وبدون أن يبدي أي اعتراض أو ترجيح ..

ومن أشهر حادثة في الإسلام وهي دليل على الاختلاف , ولكن كان هناك اجتهاد ولم يعترض أحد على الأخر ولم ينكر أحد على الأخر,ولكن هل نتعلم منهم كيف نختلف وذلك في مسألة أمره عليه الصلاة والسلام بصلاة العصر في بني قريظة فقد صلاها بعضهم بالمدينة ولم يصلها البعض الآخر إلا وقت صلاة العشاء ، ولم يعنف أحدًا منهم كما جاء في الصحيحين , وفي السفر كان منهم المفطر والصائم . وما عاب أحد على أحد كما جاء في الصحيح .

وهناك الكثير من الطرق التي تمكن الإنسان من كيفية الاختلاف دون المس بأحد ومنه احترام الآخر وهذه من الأوليات الأخلاقية في التعامل ,وهي ليست مرتبطة بحالة الاختلاف فقط ، وإنما هي من حقوق المسلم على أخيه .

ولكن تظهر أهميتها والحاجة إليها عند الاختلاف وعدم سوء الظن , ومحاكمة النيّات والحكم عليها جزافًا من خلال مقدمات أو مسلمات معينة وهي من أخطر الأمراض التي تسبب الخلاف والتمزق ، فالقرآن ينهى عن هذا الخلق الذميم (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه). (الحجرات : ١٢) وهكذا ورد في الروايات أيضًا (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءً وأنت تجد لها في الخير محملًا) عدم غيبة الآخر, وهو تناول شخصيته بنوع من التجريح لا لشيء سوى أنه مختلف في الموقف والرأي وهي من المحاذير التي تناقلها القرآن وشدد على خطورتها ويعاقب عليها (ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه) .

وعدم تصيّد أخطاء الآخر,وهي محاولة رخيصة للانتصار على الآخر بحيث نلج إلى أعماقه وأسراره وننقب في تاريخه ونتتبع عثراته ثم ننشرها، سواء كان شخصًا أو جهة أو فكرة نرفضها. ومن الشرع التعامل مع الآخر طبقًا

للمعايير والموازين الشرعية وليعلم هواة الطعن والتجريح والتقسيط والتكفير والتفسيق أنهم بعيدون كل البعد عن الشرع المقدس ,وعن القيم الأخلاقية الثابتة والاهم فى ذلك هو الرفق في التعامل والرفق أصل من أصول الدعوة ومبدأ من مبادئ الشريعة ففي حديث الرجل الذي بال في المسجد وزجره أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عليه الصلاة والسلام قائلاً : لا تزمروه – أي لا تقطعوا بوله – وأتبعوه ذنوبا من ماء وقال للرجل إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذه القاذورات.

وحديث الأعرابي الذي أعطاه فقال له أحسنت عليك فقال كلامًا غير لائق فهم به الصحابة فنهاهم عليه الصلاة والسلام وأدخله في البيت فأعطاه ثم خرج به وقال هل أحسنت فقال أحسنت علي فضحك عليه الصلاة والسلام. أن لا يتكلم بغير علم قال تعالى

(ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)

(الإسراء :٣٦) أي لابد من الإحاطة بما في المسألة قبل أن تخالف فقد قال الشاعر

قل للذي يدعى علمًا ومعرفةً علمت شيئًا وغابت عنك أشياء

فالعلم ذو كثرة في الصحف منتشر وأنت يا خل لم تستكمل الصحفا

ومن الأدب مراعاة المصالح الشرعية في الإنكار فإذا كان النهي سيؤدي إلى مفسدة أكبر أو سيضيع مصلحة أعظم فلا نهي ولا أمر وفي الختام فإنه لا بد من إحياء روح التسامح في الأمة فتتجنب التباغض وبث روح الأخوة والمودة بين المسلمين في أنحاء العالم . ولا بد من تأكيد أدب الاختلاف وتجنب سلبيات الخلاف, لا بد من التأكيد على أن للاختلاف أسبابًا موضوعية مشروعة ووجيهة يجب إبرازها واستثمارها لرأب الصدع وإصلاح ذات البين كان هذا الأمر واجب على كلا منا أتمنى أن يفهم كل إنسان أن الانتصار للنفس على الحق مهما كان لن ينال بذلك شرفًا أو صدارة في أى مكان .

إن الحق واضح ويظهر مهما طال الزمان . أختم بموقف للإمام الشافعي الإمام الشافعي يأخذ بحكم القنوط في صلاة الفجر ويقول هو سُنة مؤكدة والإمام أبو حنيفة لا يقنط , ولكن عندما صلى الشافعي بجوار قبر أبو حنيفة لم يقنط وعند الانتهاء سئل عن عدم القنوط قال مقولة رائعة كيف أخلفه وأنا في حضرته ,هو يحترم أبو حنيفة وهو في القبر ونحن لا نحترم بعض والوجوه في الوجوه يا ربي لا أعرف ماذا أقول رحم الله الشيخين رحمةً واسعة.

إذا اختلفت فلا تعادي ولكن اقتدي بخير العباد
كن منشرح الصدر لا جمرة على نارا
ولا تكن أنت البدي ولا تنتصر لنفسك
ولكن انتصر لرب العباد
نظم عائشة بكير

عائشة بكير